

## عالم اجتماع وقاصّ وباحث متعمّق في الفكر والثقافة والسياسة والمجتمع

# عدنان بيلونة: على المثقّف معالجة قضايا بلده من خلال رصد الواقع

كتب بشري سليمان من اللاذقية (سانا):  
عالم الدكتور في علم الاجتماع عدنان بيلونة، عضو جمعية البحوث والدراسات في اتحاد الكتاب العرب، في اللاذقية، خلال عقد من الزمن قضايا إنسانية وفكرية وسياسية واجتماعية، وفواهر سلبية في مجتمعنا، تارة بأسلوب ساخر لانع في مجموعاته القصصية، وتارة أخرى في كتبه ودراساته وابحاثه المتعمقة في الفكر والثقافة والسياسة والمجتمع.

يؤكد الدكتور بيلونة أن دور المثقف لا ينبغي عند حد ولا يتوقف عند طموح، فالمثقف دائم الانشغال بقضايا بلده، المصرية خاصة. وعلى المثقف أيضاً أن يحارب ويناور ولا يتعاس عن أداء مهمّاته، وأن يرصد الواقع دوماً ويكتب عنه ويعالجه، ولا يهدأ قلمه أو يتخمد فخره من جراء الأزمّة التي أثرت في جميع مناحي الحياة، معتبراً أن دور المثقف يكبر بالقضايا الكبيرة ولا يصغر بالأمور الضئيلة العربية بفعل نداعي روح الضلال أمام المثقف أن يتناولها ويعالجها، فالمثقف مقاتل من نوع آخر، يحارب بالقيم والكلمة، والثقافة هي خط الدفاع الأول في الهجوم، وخط الدفاع الأخير في الدفاع، وبمجرد تخليها عن الثقافة فإن المجتمع ينهار، بحسب تعبيره.

عزّز الدكتور بيلونة الثقافة بمعناها



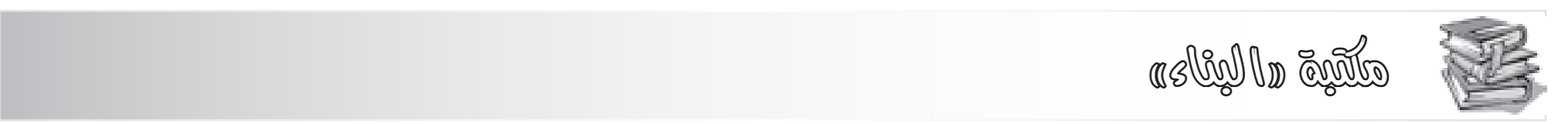
الإنساني الرفيع بأنها تعني صف الذهن والسلوك وتثمينه وتهذيبه، أو هي كل ما ينتجه العقل أو الخيال البشري لتحقيق هذا الهدف، مثلما صاغ تعريفاً للأمن الثقافي بأنه ضمان الأمان والحفاظ على الأصالة والهوية من خلال سلوكيات ثقافية دفاعية معيّنة تواجه الغزو الثقافي الخارجي، كما تردع في الوقت ذاته عملية تخريب العقول بما يث من سموم فكرية أو ثقافية أو فنية غايتها انحطاط المجتمع وإفساده. وفي تقديره أن الثقافة العربية تواجه اليوم بقوة وفي ظروف اضطرارية ثقافة غريبة كونية تسعى إلى تدميرها والسيطرة على موارد شعبها وتبديل عاداته وقيمه وتقاليده والغاء مقاومته وتشتيت هويته الحضارية، كما تواجه غزواً صهيونياً يحاول خرق الثقافة العربية بفعل نداعي روح الضلال أمام تغلغل شعارات المصالحة والاستسلام على المستوى السياسي ونمو النزعة الفرعية والاتصالات والمواصلات العالمية من ناحية، والتخلف الاجتماعي والسياسي العربي من ناحية أخرى.

ترافق كل ذلك مع أزمات داخلية في الفكر والتربية والفن والثقافة والتعليم ساهمت في افساد النوق الاجتماعي العام، بحسب تعبيره. وإذا كان الغازي الغربي أو الأميركي

ومرعب في مجتمعاتنا العربية، خاصة تلك التي تعيش تحت مستوى خط الفقر أو عنده، ومن خلال عولمة الصورة أصبح نقل ميارة فضائياً يخلق هوساً اجتماعياً في متابعتها عبر الشاشة الصغيرة من قبل الشباب العربي المهتمش، حتى بات نجوم الكرة في الغرب مثلاً أعلى لبعض المراهقين وهم يقدونهم في قسّة الشعر واللباس والتصرفات.

في جانب آخر، وضمن السياق عينه، برزت مسألة خطيرة جداً في ثقافة الصورة هي إبراز العنف كأداة للوصول إلى الغاية، فنرى أيضاً نشرات الأخبار تكسر حوادث القتل والتدمير وتبثّق المراسلون في إحداث سبق صحافي والتزيين المفرط على المشاهد الأكثر هولاً ورعباً، «واكبّر مثال على ذلك الإعلام «الداعشي»».

وتركز ثقافة الصورة بحسب الدكتور بيلونة على الوافد لنا من الغرب فناً أو إعلاناً، فالفن العربي الراقي الأصيل مسخ، وفي أفضل الأحوال طمّح بتكتهات غريبة غريبة عن تراثنا الموسيقي. وحول تقشي ظاهرة الإعلان يرى الدكتور بيلونة نرى الخلط واضحاً بل ومتعمداً بين الإعلام كرسالة سامية والإعلان كوسيلة للربح، أي أن الناس باتوا محاصرين بإغواء السلع والإغراء في الشراء في أسلوب مبتذل، العولمة».



العمال الحقيقية، وبدءاً من تلك اللحظة اعتبرت العمل اليدوي موتوراً للثقافة. انتقدت ويل المنهج الماركسي وبرزت اقتراحها كبديل ضروري يجب أن يدور حول مادة الحرية، واعتبرت بفضل ماركس في تشخيص آلية العمل، لكنها ترفض الفكرة الدوغماتية لاتباعه أو ما عرف به الشيوعية العلمية»، وكتبت: «هذه ساعة المطالبة بتحقيق حلم الحرية وتقرير تنفيذها (...) «الحرية الحقيقية لا تُعرّف بأنها العلاقة بين الرغبة والإشباع، بل بين الفكر والسلوك». تجربة ويل في العمل في مصنع حولتها على نحو راديكالي. تقول: «ما من علاقة بين الحديث عن مشكلة ومعايشتها بالفعل». وتذكر في كتابها أن الآلية التي يخضع لها العامل تدينه بأن يكون مجرد درع في العملية، تعامله فحسب كيد عاملة، قفلة زائدة في النظام. هذا النظام الصناعي الذي ترسمه ويل تطور كثيراً، بلى، لكن السؤال الذي لا يزال مفتوحاً: هل لا يزال العامل محض روبوت إلى اليوم؟».

تصف سيمون ويل وضعاً متناقضاً، فتمّة دوماً منتهج في حركات العمل، لكن ليس في التفكير في العامل. من هم هؤلاء الذين يعيدون إنتاج منجم العمل؟ هل وضعا في اعتبارهم رؤية العامل؟ هل تغير هذا النظام في المؤسسات الكبرى؟ هل يمكن أن نتحدث اليوم عن عمل إبداعي أم أننا لا نزال في مرحلة الهيراركية؟ هل نحن أحرار في مهنتنا أم لا نزال نتلقى الأوامر من دون أن نسال هل هذا في مصلحة العمل؟

تاملات ويل دعوة إلى إنسنة الحياة وحث القدرة الفردية على التفكير والتصرف. تقول لنا إن الكائن البشري يدافع عن تشييد يوتوبيا، إنما ليس كعقيدة، بل كشكل من أشكال التفكير في الواقع. وتضيف أن الحرية فكرة مثالية، بلى، لكن هذه الفكرة لن نجني ثمارها ما لم تتحول إلى واقع مفيد. لا تربط ويل أي شيء خاص بفكرة الدفاع عن الفردية، بل على العكس تماماً. ما تقولها لنا هو صلاحية الإنسان للتفكير ومن ثم تورطه في العمل الجماعي لينتمي ك فرد إلى الجماعة.



## رحلات ستيفنسون في كتاب...

### السلطة المبهجة

كثير من الكُتّاب الكبار اكتسبوا نظرهم إلى العالم من الرحلات التي علّمتهم، قبل أي شيء، وليس من دونها، ما كانت ظهرت الأعمال المهمة للكاتب الإسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون، مثل «جزيرة الكنز» «السهم الأسود» و«الدكتور جيكل ومستر هايد».

كان ستيفنسون من الرخالة الذين استسلموا للسفر فوضع نصوصاً شديدة الركة والعنوية عن مسقط رأسه اسكتلندا، وفونتنبيلو ونبراسكا، صدرت في إسبانيا حديثاً.

يضم الكتاب تاملات عميقة حول السفر يدافع فيها ستيفنسون عن الطريق الوعر، ويؤكد على عدم الإيمان بالحماسة المفاجئة، ويسجل ملاحظات للاستمتاع بأي مكان، بما فيها الأماكن الأقل جذباً، في اكاء كامل على المشاعر العميقة لتبرير الحياة.

برغمًا الكتاب يستيفنسون كاتب الضصوص، القادر على إشارة الانتباه بوصف التلال والسماوات، والرياح بينما يتحدث عن الطبيعة في شيلبي أو كميريدج بأسلوب حاسم ويهدوء وسكينة من يعرف عما يتكلم تحديداً، أي الرحلة، مستعيناً بطاقة روحية مطلقة تشبه طاقة وإيمان وفور.

يصف ستيفنسون كيف علم نفسه بنفسه ويشير إلى قراءات طفولته. بذلك يغدو كتاب «الرحلة» مرشداً من الإلهامات الحميمة التي يجب أن نضيف إليها المرض، بدءاً بإصابته بالسل في ديفوس، إلى تعرضه للسجن بسوء حالته الصحية. ورغم القسوة التي تعرض لها، يحكي بأسلوب مسل وبوبياسة تبدو مبهجة.



تنقل المؤلفة من ثم إلى العوامل التي أدت إلى نهوض الحركة النسائية، قائلة: «بيدّا عصر النهضة الحديثة لمصر بمقدم الحملة الفرنسية للبلاد المصرية سنة 1798، إذ جاء رجال الحملة الفرنسية إلى مصر وبعض نساء فرنسا معهم زوجات ومغامرات، ودخلت عوامل أخرى غيرت من كيان المجتمع النسائي المصري، ومن هذه العوامل الحملة الفرنسية التي كان لمعاملة رجالها لنسائهم أثر في توجيه نظر نساء مصر، للفرق الكبير بين وضعهم ووضع المرأة الفرنسية، خاصة بعد زواج قادة الحملة من بعض المصريات، مثل: مينو الذي تزوّج من زبيدة الرشيدية وأسلم لأجلها وتسمّى باسم عبدالله مينو.

من العوامل المهمة أيضاً في تقدم الحركة النسائية في مصر ذهاب بعض شبائها إلى الخارج، وعودتهم إلى مصر معهم أفكار وعادات وقائدات جديدة، بينها ضرورة تغيير وضع المرأة في المجتمع المصري وضرورة تعليمها، وإتاحة فرصة العمل الشريف لها. وفي مقدّم هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي الذي عبر عن آرائه في كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» وفي «المرشد الأمين في تربية البنات والبنين».

إلى الحركة النسائية في مجال عمالة المرأة، قائلة: «عرفت المرأة المصرية ميدان العمل اليدوي منذ فجر التاريخ، وتعدّ المرأة الريفيّة عندنا امتداداً للمرأة الريفيّة منذ بداية تاريخها على هذه الأرض، فمنذ أكثر من سبعة آلاف سنة هذه تساعد المرأة الرجل الريفي في أعماله في الحقل، وتقوم بالأعمال الشاقة نفسها التي يقوم بها، مثل حرق الأرض وحصد المزروعات وتربية المواشي (...)» أما أول من أهدأ أذهنها المرأة بأجر معلول فهي مهنة القابلة والمأشطة، وحياسة ملابس النساء والأطفال، وهذه المهن على ما سنرى تتصل بعالم الأئونة.

تشير الباحثة إلى أول تظاهرة خرجت تطالب بدخول المرأة البرلمان وكانت بزعامة هدى شعراوي، في يوم افتتاح البرلمان الأول في آذار 1924، إنما لم تجب مطالب النساء لنيل حقوقهن السياسية بخروجهن في التظاهرات، فقررن الاعتماد في دار نقابة الصحفيين والإضراب عن الطعام. ولم تكن نساء أول من أهدأ أذهنها المرأة بأجر معلول فهي مهنة القابلة والمأشطة، وحياسة ملابس النساء والأطفال، وهذه المهن على ما سنرى تتصل بعالم الأئونة.

أما التظاهرة النسائية الكبرى التي شهدتها مصر في 16 آذار 1919 فقد سبقها مؤتمر نسائي كبير عُقد في منزل هدى شعراوي بشوارع قصر النيل، وقرّر أعضاؤه إرسال مُذكرة إلى اللبدي برويتن زوجة المندوب السامي البريطاني في مصر عهدذاك، وقيام تظاهرة نسائية كبرى تعبر عن استياء نساء مصر لما يرتكبه الاحتلال البريطاني ضد مصر وشعبها.



## إعادة إصدار كتاب فلسفي لويل سيمون

أعادت دار «تروتا» نشر أحد أهم الكتب الفلسفية التي ظهرت في القرن العشرين، «تاملات حول أسباب الحرية والقمع الاجتماعي» للفيلسوفة الفرنسية ويل سيمون، الذي لم تتمكن مؤلفته من إصداره في حياتها، فأصدره الكاتب والمفكر الوجودي الكبير الفرنسي ألبيير كامو في خمسينيات القرن الفائت.

في هذا الكتاب تنتقل ويل (باريس -1909 إنكلترا 1943) بين الفلسفة والتصوف، والسياسة والعلم، والحدث والتأمل. وبحسب كارمن ريبيا في مقدمتها للكتاب في طبعته الجديدة، تتميز ويل بأنها «مفكرة ذات تجربة»، فالفيلسوفة الشابية إذ وضعت كتابها في عمر الخامسة والعشرين، تركت وظيفتها الأكاديمية لتتخرط كعاملة في رينو، وهناك اطلعت على مشاكل

## غياب الممثل العريق عمر حجو



أعلن في دمشق أمس عن وفاة الممثل السوري العريق والقدير عمر حجو بعد معاناة من مرض عضال، عن عمر 74 عاماً. ولد عمر حجو في حلب عام 1931، واشتهر محلياً وعربياً بفضل مشاركاته المتعددة في أعمال فنية ناجحة، إذ برع في تجسيد الشخصوس والأدوار التي أداها على خشبة المسرح أو في السينما أو في الدراما التلفزيونية التي شهدت معظم أعماله، واقترن اسمه بأشهر الأعمال الفنية السورية، إذ شارك في مسرحيات «كاسك يا وطن» و«غربة» و«صانع الطير» و«ضبعة تشرين» و«شقائق النعمان»، وكان له دور متميز في أحد أشهر الأعمال السورية السينمائية «الحدود»، بالإضافة إلى أدواره في المسرحيات مثل «وادي المسك» و«كوكب الحجر» و«بقعة ضوء» وغيرها الكثير. إضافة إلى مشاركته في مسلسل «البيوت أسرار»، الذي يحكي البيئة المحلية بتفاصيلها وباللهجة المحلية في حلب الشهباء.

ارحل حجو من مؤسسا نقابة الفنانين السوريين، كما أسس مسرح «الشوك» السياسي الناقد بالتعاون مع النجم الكبير دريد لحام، وهو والد المخرج المعروف الليث حجو.

## «مهرجان أفلام حديثة» يفتتح عروضه بـ«فندق بودابست الكبير»



افتتاحية كبيرة لـ«مهرجان أفلام حديثة» في جزينها الأول شهدها هذا العام مع فيلم «فندق بودابست الكبير» للمخرج الأميركي ويس أندرسون، في مسرح الدراما في دار الأوبرا السورية. إذ حفل العرض الافتتاحي للتظاهرة السينمائية هذه بحضور لافت لعشاق الفن السابع، فالمخرج بصمته الخاصة في

تشكيل الكادر والتناقص اللوني الفريد للصورة السينمائية، إضافة إلى ابتعاده عن المتوقع في إدارة مثليه أمام الكاميرا، ضمن عوالم فانتازية متخيطة، شديدة الارتباط بعالم الأدب والفن.

الفيلم الحائز جائزة غولدن غلوب لأفضل فيلم موسيقي كوميدي لعام 2014، شهد إقبالا لافتا من جمهور دار الأسد للثقافة والفنون، إذ يعرّح سردا إلى أدب قروسطي أو إلى عوالم «الف ليلة وليلة»، وتمّة أقرب حكاية إلى أدب فانتازي أو إلى عوالم موسيقى كوميدي حرفة عالية ذات طابع حدائي في المعالجة وتدقيق الحوادث عبر إشارات برسلها أندرسون في كل مشهد من الفيلم الذي يروي به عبر ثلاثة رؤا الأولى هي الفئات التي تقف أمام نصب تذكاري لكاتب له وزنه في أوروبا الشرقية إذ فتحه له الرواية وتقراء، بينما يدخل الكاتب مباشرة في رواية حكاية زيارته لفندق بودابست الكبير وقت افول نجمه بعدما كان جوهر في سلسلة الألب.

عوالم متشابكة من المؤامرات والجريمة والعنف المبرر بالضحك تبدو في فيلم «بودابست الكبير» لا يرضي المخرج إلى حدّ تينيتها إذ يركز على تحديد مشاعر المشاهد من خلال خلق صورة هزلية مليئة بالقسوة والسخرية في آن واحد، عبر إدراك الصورة النقدية للمأساة في خضمّ العمل القتال والصراع على السلطة والتمل. وسأنده في ذلك مدير التصوير وروبرت يومن بحرفية بالغة التأتير في تنفيذ أزمنة الحكايات الثلاث في الفيلم وقدرته على التنقل بينها بشخص لونية متقاربة كوحدة أسلوب سينمائية ومتباعدة في تمييزها زمنياً بعضها عن بعضها الآخر.

برز في الفيلم أداء كل من الممثلين القديرين. رالف فاينس وأندريان برودي وويليام دافو وإدوارد نورتون وماتيو أمارليك وجيف غولبلوم وادج. جي أبراهام وهارفي كيتل، فضلا عن الفتى توني ريفولوري. تناغمت أدوار هؤلاء مع موسيقى ألكسندر ديبيلا التي راقت سياق الفيلم الكوميدي فمحتته أبعادا مختلفة وجديدة لصوغ مادة سينمائية مشغولة وفق الأسلوب الأميركية السوداء نفسها، رغم أن المكان الهنغاري بطل مطلق في الفيلم عبر تلوج الألب وغاباته وقطارات البخارية وعمارته الباروكية الباذخة.

تستمرّ تظاهرة أفلام حديثة» يومياً إلى 31 من الجاري، من تنظيم المؤسسة العامة للسينما، بعد نجاح أكثر من تظاهرة من هذا النوع والإقبال الكبير الذي شهدته العام الفائت. ويضم مهرجان الأفلام الحديثة أكثر من تسعين فيلماً رومانسيا وعاطفيا وخيالياً علميا وأفلام رعب وتشويق وأفلاما للأطفال.

## سرقة 15 تحفة فنية

### من المتحف الصيني في باريس

سرق ما لا يقل عن 15 تحفة فنية من المتحف الصيني الواقع في قصر فونتيللو، جنوب باريس. وأعلن وزير الثقافة الفرنسي إن كحوليين تسلسوا إلى القصر فجر الأحد الفاتح، وسرقوا عدداً من التحف الفنية، كما أعلن ناطق باسم القصر أنه يصعب عليه الآن ذكر قيمة التحف المسروقة، مشيراً إلى أنها أهديت للمتحف من قبل الإمبراطورة يوغينيا زوجة الإمبراطور نابليون الثالث. وبدأت الشرطة التحقيق في ملباسات الجريمة، ولا تملك إلى الآن معلومات عن الأشخاص المشتبهين بارتكابها.

## ضبط شبكة إسبانية متخصصة

### في تزوير لوحات بيكاسو وميرو

بعد محاولات عديدة وأسئلة كثيرة حول من يستطيع أن ينتهك لوحات كبار الفنانين بهذه الطريقة، تمكنت الشرطة الوطنية الإسبانية من إلقاء القبض على شبكة متخصصة في تزوير وبيع لوحات فنانين مشهورين وذوي وزن عالمي مثل بيكاسو وميرو وسورويلا وبيثانو وأبل وساورا بين أسماء أخرى. وأسفرت العملية عن القبض على تسعة أشخاص، بينهم القاتمون بالتزوير وموزعو الأعمال، وعلى بعض الوسطاء المكلفين بإدخال تلك اللوحات إلى السوق، والعثور على 271 لوحة مقلدة لأعمال تصويرية ونحتية وجرافيكية.

بدأت مرحلة التحري إثر بلاغ قدمه أحد جيران مزور اللوحات في قسم دينيا (البكانتي) تضمن معلومات أفادت بكثرة أولى للتحقيق، وبعد مجموعة من المتابعات اكتشف رجال الشرطة أن المزور ليس سوى فرد في شبكة تعمل في تزوير الأعمال الفنية وبيعها، وهكذا تمكنت الشرطة من القبض على المسؤولين عن التزوير وهم رجل وزوجته وثلاثة أشقاء، وتم التحقق من أنهم كانوا يمارسون هذا النشاط منذ سبع سنين، وأنهم خلال تلك الفترة زوروا لوحات وفنانات فنانين مشاهير مثل بيكاسو، أندري وارول وميرو وسورويلا وبيثانو وساورا، تاييس ومومو ورفائيل ألبرتي وآخرين.

ألقت الشرطة القبض أيضاً على شخص كان يعمل كوسيط للمبيعات، وهو من كان يحصل على الأعمال الزائفة وبييعها من ثمّ لتاجر قبض عليه أيضاً، مقابل سعر كان يصل إلى أربعة أضعاف، ثمّ يبييعها التاجر المعارض الفن في البندقية ومدريد بالإضافة وأماكن أخرى في عالم الفن، سواء في اجتماعات في مكتبه، أو من خلال عمل مزادات على الإنترنت.